

### إضاءة

مع كلِّ صورةٍ قادمةٍ من غزّة، يتعقّف الموقفُ الإنساني الرافض للمدوّان ويكتسب إبعاداً جديدةً كي نفهم حقيقةَ ما يجري، وأنّ هناك استعماراً استيطانياً يحتل اأرضَ الغير. لهذا يجب أنْ نتحدّثاً عن الصور التي أنتِ نبيحتُ عن سياقها، ونعرف لماذا يُتّكَل المصوّرون

#### إسامة إسر

تترنّع الصور، وخاصة الرقمية منها، على عرش اللحظة التواصلية، كما لو أنّها لغةٌ جديدة تتشكل من أحرفٍ بصريةٍ تتبع من العسدة وتندفق على شاشاتنا في مذ جارف يذهلنا ويصمنا بالدوار. فالشاشات بانواعها، والصحف والمواقع تقدّم لنا صوراً مختلفة على طيقٍ سحري تتبدّل محتوياته على موائد حياتنا في لمح البصر. هذه هي ميزة عصر الصورة، وفيه صاى الذهن مُرتبطاً بما يراه كذهن البدائي الذي كانت العلاقة بين عمنه والعالم تُشرّح له معنى المكان الذي يعيش فيه، وتزداد أهمية الصور في الأحداث الكبرى، وفي الحروب، والعدوان المدنيّ ومدارسهم ومستشفياتهم ومنازلهم وجامعاتهم ودور عبادتهم، وسط صمتٍ رسمي عربي فريب.

لقد لعب مصوّرون كانوا موجودين في ساحات المعارك وفي المدن والبلدات التي تعرّضت للقصف دوراً استثنائياً في صناعة الرأي العام، بحسب مناطق العدوان، وما يميّز عصرنا عن العصور السابقة هو أنّ الجميع يمكن أن يُصبحوا مصوّرين ولو لم يقصّوا



من ربح، 2 آذار/ مارس 2024 (Getty)

الباحث، وكلمة مذهب قد لا تكفي للمتعبير عن رُخم هذا التطور. ويخدم التصوير الفوتوغرافي أجنداث مختلفة، قد تكون دعائية صرفة، الصور التي تستعرض أنواع أسلحة الفتك والقتل، وهذا يتبع في معارض الأسلحة والمخابرات العسكرية الخاصة بدولة واحدة أو تحالف تكون داخله فيها حيث تستعرض الدول عضلاتها العسكرية خدمة هدف معين، وهناك صور تُلقظ أثناء المعركة حين يصيب صاروخ هدفه ويُلمح الدمار به حيث نرى اللهب والدخان. لكننا لا نرى القتل بل نعرف عنهم من التعليقات المرافقة للصورة، ذلك أنّ المصوّرين كانوا يركّزون على صورة إصاية الهدف والانفجار ويفغّلون تصوير الضحايا، كما حدث في حرب الخليج.

كما يقوم المقاتلون أنفسهم بالتصوير من قلب المعركة وتسل معظم هذه الصور إلينا على الفور وتغمرنا بأعدادها الهائلة وتحوّلنا إلى منفرخين مناصرين لأحد طرفي الصراع، إلّا أن هذا التصوير قد يكون متلاعباً به ويغيب الضحايا الحقيقيين للحرب.

وهناك مصوّرون مستقلون يخلّعون كي

## تأريخ بصري للدمار ولضحايا الإبادة الحقيقيين

# عن الصورة القادمة من غزّة



مصوّر فلسطيني يلتقط صورة للثالب المدمّرة بعد قصف إسرائيل على مخيم البرج، 2 لشربث الثاني، نوفمبر 2023 (Getty)

### غيّر التصوير نظرتنا للأحداث وخلّخه أنظمة الرقابة والتلاعب

بارثاك هو أنه جعل آلة التصوير محمولة وهو أمر حقّق فقرة هائلة في مجال التصوير الفوتوغرافي الذي كان يتم عن طريق كاميرا الأنواع الزجاجية الضخمة والثابتة والتي كانت عاجزة عن التصوير المدّاني.

أشار أونيل إلى أنّ المخترع والمصوّر الألماني أوسكار بارثاك جعل التاريخ مرئياً في شكل صور منذ عام 1913. إن ما قدمه بارثاك هو تصوير بسيطه سهلة الاستعمال يمكن

أن الإختراع الآخر المذهل الذي يلعب الآن دوراً خارقاً للممّكول في مجال تغطية الحروب هو الهاتف النقال الذي جعل التصوير شُشاعاً وغيّر نظرتنا للأحداث وخلّخل أنظمة الرقابة والتلاعب. يوضّح هنا الدور الإيجابي للتكنولوجيا الرقمية، غير أنّ هذه التكنولوجيا الرقمية مخيفة ومشوّشة، رغم قسب بل غرّ كذلك الطريقة التي يعمل بها. سبخت تشوشنا لدى كثيرين، والسبب هو التدفّق الغزير للصور وتوّع مصادرها، ما

جعل البعض يرون أنّ الحقيقة تضع في هذا المد ويتم التلاعب بالصور الرقمية في معركة لتتبويه الحقيقة والتشكيك بصحة ما يحدث، وأن الرقابة تطورت ولم تعد تكفي بالحدف تماماً في مشهدٍ واحد هو مشهد الموت. أحاول يومياً التواصل مع الناس عبر صفحتي الرسمية على فيسبوك؛ لتحليل الواقع وتمكين الناس من الرؤية الحضارية للحدث وسط التفاصيل التي قد تخفّفهم، والتواصل معهم أيضاً عبر تصوير فيديووات لتحليل الأحداث وتقديم رؤية عن الصهيونية والقضية الفلسطينية، كما اكتب كتاباً جديداً عن هذه المرحلة؛ كشهادة من عاش المساة بقلبه بعيداً عن مسرح الجريمة وغيرها.

إنّ أي درجة تشعّر أن العمل الإبداعي ممكّن ويقال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين إنّ العمل الإبداعي الحقيقي اليوم هو ما تقوم به المقاومة، لقد أبدعت ملححة عربية سيرة تتناولها الأجيال، كما تناقشت سيرة أبي زيد الهلالي، وسوف يتذكّرنا الغرب كما يتذكّر «البيّادة» هوميروس. أمّا دور المبدع العربي العامرة، والمتاحف، وأن تعرف أيضاً أن الصور تروي قصة، كما تروي الصور القادمة من غزّة قصة اقتلاع شعب تمهيدا لتلقيه إلى الصвра.

(شاعر ومترجم سوري مقيم في الولايات المتحدة)

### مع غزّة

## شهادةٌ من عاش المساة بقلبه إدريس الكنبوري

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثر على إنتاجه وحياّته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء

#### الإياط . العربي الجديد

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوانٍ إبادةٍ على غزّة؟

الحقيقة لا يحدّ الإنسان الكلمات المناسبة، نحن نعيش حالة نغول يومية وحالة انقسام بين إنجازات المقاومة وأعمال الإبادة، هناك مشاعر مضطربة في الأعمال، حزن كالفرح وفرح كالحزن، أو كما قال المتنبي: «ضحكٌ كالكاء» إنّ الهاجس الذي يشغلكي منذ خمسة أشهر هو أنّ استفيق على انتصار تاريخي يعوّضنا عن الهزائم المتكرّرة خلال قرون.

■ كيف أثر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟

حياتي اليومية تتحرّض بين متابعة الأخبار والصور المؤلمة للأطفال والنساء في غزّة، وآلة التدمير البربرية التي توحى لنا بأنّ التاريخ توقف تماماً في مشهدٍ واحد هو مشهد الموت.

■ شخصية إبداعية مقاومة من الناس تودّ لقها، وماذا ستقول لها؟

■ لو قيّض لك البده، من جديد، هل ستختر الجبال الإبداعي أو مسجلاً آخر، كالعمل السياسي أو الثقافي أو الإنساني؟ العمل السياسي في العالم العربي كسول ومتواطئ، والعمل الثقافي محظور، والعمل الإنساني محاصر. نحن اليوم نعيش بوضوح «جائزة العالم العربي»، لكنّ العمل الإبداعي والثقافي عامه يظلّ خشيمة الخلاص؛ لأنه مركز التقاطع بين الضمائر الحية في العالم، ويتيح لغةً مشتركة تتجاوز الحدود. إنّ أفضل خيار يُمكن أن يحد فيه الملقف نفسه هو خيار الوقوف إلى جانب الشعب الفلسطيني، كما فعل الكثير من المثقفين والمبدعين الأوروبيين في الحرب الأهلية الإسبانية، عندما حمل بعضهم المنذقة دفاعاً عن العدالة والحق، لكن الخيارات محدودة.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

ما أحلم به أن يستعيد الشعب الفلسطيني المكان الموحّد الذي يعرفه، أن يصبح سيداً في وطنه، ويتنصر الخير على الشر في العالم. لقد حلم الكثيرون قبلنا بانحصار الحرية والعدالة، لكنّ القوة هي التي تغلّت، والقوة دائماً هي التي تقهر الفيلسوف والمبدع والشاعر، وهي التي تدكّ جميع الكلمات الخبيثة التي ينتجونها، لأنّ سلطة الكراهية تنتمس على سلطة العقل.

■ شخصياً إبداعية مقاومة من الناس تودّ لقها، وماذا ستقول لها؟

■ كمنة تقولها للناس في غزّة؟

■ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

■ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

■ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

■ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

■ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

■ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

■ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

■ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

■ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

إدريس الكنبوري



فيديريكو غارسيا لوركا، الشاعر الغرناطي القتل؛ غرناطة التي قُلت فيها برصاصه وحيدة في الراس وأنت واقف قرب الجدار، هي المدينة التي طرد منها أجدادنا الذين تغلّبت بهم في شرعك، وما هي غرناطة متعاداً بالظهور نفسه، أنت تغلّبت بغرناطة ونحن نبكي على غزّة.

■ كمنة تقولها للناس في غزّة؟ شعرت ياأخي أقل من إنسان وأصغر من رجل أمام الأطفال الذين يكمرون رغم انقهم ويصحبون ابتلالاً. إنّ شهادتكم لقد علّمتم العالم درساً حول علاقة الإنسان بالأرض. جميع الناس يطؤون الأرض، أمّا أنتم فحلمونها على ظهوركم.

■ كمنة تقولها للناس في كل مكان؟ ارفع رأسك، هذا أوان رفغ الرؤوس.

■ حين سُئت الطفلة الجريحة دارين البيت التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان، سألتا ترديد من العالم أجابته رسالتي للناس إذا بعبوا دارين أكتبوا لي رسالةً أو أي شيء. سألتا تقول لدارين ولأطفال فلسطين؟

■ تخبّنت لو أضع رأسي في أحضانكم وأنجي، لدى طلفانك وأعرف معنى أن يكون الإنسان أباً. وأنا كبرت دون أم، وأصغر بيتمك.



إدريس الكنبوري

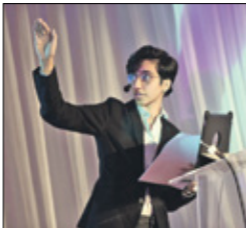
## فعاليات

عند التاسعة والنصف من مساء الثلاثاء، التاسع عشر من الشهر الجاري، تقدّم الباحثة الكويتية **زهراء المهدي** (الصورة) محاضرة بعنوان **الثورة التاريخية: مقاومة البروباغندا الصهيونية**، وذلك ضمن سلسلة ندوات تُقام في «مكتبة تكويت»، فرع الشويخ بالكويت العاصمة، وتضئ جوانب من القضية الفلسطينية.

ضمن «أسبوع فلسطين» الذي تنظّمه «الجامعة الأميركية» في بيروت، يُقدّم **كورال الفيداء الوطني**، عند التاسعة من مساء اليوم السبت في قاعة «Assembly Hall»، حفلاً موسيقياً دعماً للشعب الفلسطيني. يودّي الكورال، الذي تأسس عام 2003، مجموعة من الاغاني المستلهمة من التراث الفلسطيني والداعمة لقضية شعبه، ويذهب ربح الحفل لصالح «صندوق غسان أبو ستّة للأطفال».

لمناسبة **يوم الأرض الفلسطيني**، دعت «حركة الشباب الفلسطيني» إلى الانضمام للمظاهرة الشعبية المقرّرة في مدينة سياتك الأميركية عند الثانية من بعد ظهر الثلاثاء من آذار/ مارس الجاري. يرفع المحتجّون شعار «من النهر إلى البحر»، تأكيداً على حقّ عودة اللاجئين إلى اأرضهم التي هجّروا منها منذ عام 1948.

**ستّ الخُست** عنوان معرض افتُتح أول من امس الخميس، في «لمتحف القومي للظاهرة المصرية» بالهاهرة، ويتواصل حتى نهاية الشهر الجاري. يضمّ المعرض، الذي يتزامن مع «اليوم العالمي للمرأة» (الثامن من آذار/ مارس)، مقنليات وتماذج تشير إلى دور المرأة الفعّال في الحياة السياسية والاجتماعية بمصر.



النص الكامل

عن الموقع الإلكتروني